



كتبت منذ أشهر .. والآن أعيدها للأهمية مع تعديل صغير جداً أمام تعاظم المشكلة وارتفاع الألم:

نقطة مهمة ذهل عنها أهل الخير أو كثير منهم جزى الله الجميع خير الجزاء، وهي قضية المهجرين أو (النازحين) داخل سوريا؛

فليس النازح من يقيم في الأردن أو تركيا أو لبنان، فهو مع أولئك:

كل من نزح قسراً عن بيته وأهله؛ فالحمصي المقيم في جندر أو القلمون نازح أيضاً، وليس ظروف (نازحي الداخل) بأحسن من ظروف (نازحي الخارج)؛

ومما رأيته: إقامة عشرات النساء في محال ومستودعات تجارية في قرية من ريف حمص، أو في مبانٍ لم تُكسَ بعد في القلمون، وحين سألنا أم أرملة شهيد تقيم في بناء قيد الإنشاء بلا أبواب ولا نوافذ وجدرانه أكثرها غير مكتملة؛
ماذا أعددتم لتنقوا برد الشتاء والمطر؟

قالت: لا شيء والحمد لله... وإن كنا وقفنا الشتاء الماضي على استدفأء عوائل بالزيت المحروق أو الحطب، بل بالماء المتبقي في جرة الغاز يضعه في مدفأة المازوت فالغنى هذا العام لا يحل بليتر مازوت .. فكيف سيكون حال كثير من العوائل التي حلت حيث انتهى موكب الموت بها صيفاً بلا جدران للبيت أو في الخيام أو بهو بعض المدارس؟؟ وكثير من النساء والأطفال يشحذون ويستجدون المارة في القلمون وريف حمص، ونساء مرضعات جف حليبهن لقلة الطعام والخوف، و(نازح) جاهل ترك الصلاة لعدم تمكنه من الاستحمام وتنظيف ثيابه أسبابع، وامرأة لم تخل غطاء رأسها من شهرين؛ لإقامتها وزوجها مع غير محارم لها.

يضاف إلى ذلك استمرار العيش تحت كابوس الملاحقة، فكثيرون لا يقدرون على الإقامة أكثر من شهر في المكان الواحد،

وأكثُر النازحين يخرجون من بيوتهم هرّيًّا دون شيء؛ ربما لأنهم فقدوا كل شيء، وربما لخروجهم هرّيًّا فلا يقوون على حمل شيء وهم يخالرون الحاجز، وما أكثُرها.

ولا يمنعني من ذكر أسماء الأشخاص والمناطق إلا الحرص على سلامتهم وهم ودوئها.

دون نكران أن بعض (النازحين) - ممن يقدر على العمل - يعمل ويكسب قوته، ودون نكران المجهود الكبير المبذول من أهل الخير في الداخل؛ لكن الخرق اتسع على الراقع، ورجل صالح فيما نحسب يُؤوي عشرات العوائل في بيوتٍ له ومزارع، ويتحمل فرش البيوت ونفقات ساكنيها، أسر إلى آخر لنا أنه يستدين لقلة السيولة معه ولعظم الحمل....

ويُنْبَغِي أَلَا يَغْيِبَ عَنَا أَنَّ هُؤُلَاءِ النَّازِحِينَ هُمْ غَالِبًاً أَهْلَى الثَّوَارِ؛ مَنْ نَذَرُوا نُفُوسَهُمْ لِلَّهِ، مَنْ يَقَاتِلُونَ عَنِ السُّورَيْنِ، بَلْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، مَنْ تَرَكُوا أَهْلَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ جَحِيمِ الْمَوْتِ إِلَى حَيَّثُ لَا يَدْرُونَ غَالِبًاً، وَكُلُّ ظِنْهِمْ أَنَّ أَهْلَهُمْ لَنْ يَهُنُوا عَلَى إِخْوَانِهِمْ، وَأَنَّ إِخْوَانِهِمْ لَا يَدْسِخُلُونَهُمْ فِي أَهْلِهِمْ خَيْرًا.

أعداد المهجّرين في الداخل تضاعفت من أشهر مراتٍ عديدةً، وحالهم إلى أسوأ، وحال الداعمين إلى وراء للأسف، ونعتذر بعضهم لأن المأساة طالت عليهم دفعاً، ولكن كيف من يعيشها إذاً؟!!!

كيف ومن كان عنده من أشهر شهيد صار عندهاليوم شهاده، ومن كان عنده مهجر في بيته صار عنده عشرات، ومن كان ويتفقون مما ادّخر صار يستجدي أو يتعرّف فيتأذى من القلة، ومن كان وله مَن يدعمه ويشدّ عضده صار وداعمه في الفقر سواء، ومن يوم كتبت النسخة الأولى من هذه "النحوى" أو "الصرخة" إلى الآن فقدت إخواناً كانوا يعينوننا ويدافعون عنا ما بين شهيد وجريح وسجين.

إن تعَبَ مَنْ يَعْدُ شَهَادَنَا وَالْمَجَازِرَ فِينَا فَكَيْفَ وَنَحْنُ نَعِيشُهَا؟!!

وَإِنْ مَلَّ مِنْ يَسْمَعُ صِرَاخَنَا وَأَنِينَنَا فَكَيْفَ بِمَنْ يَصْرُخُ وَيَئِنَّ؟!!

فَاللَّهُ اللَّهُ فِينَا إِخْوَانًا، وَاللَّهُ عَلَى مَنْ خَذَلَنَا أَوْ تَخَازَّلَ عَنْ نَصْرَتِنَا
إِنَّكَ إِنْ مَلَّتْمِ فَمَا مَلَّنَا، وَإِنْ يَئْسَتْمِ فَمَا زَلَّنَا وَالْأَمْلِ رَغْمُ الْأَلْمِ يَحْدُونَا، وَإِنْ تَخَلَّيْتَمِ عَنَا فَاللَّهُ مَعَنَا وَلَنْ يَضْيَعَنَا ...

المصادر: